المطلب الثالث
الحكمة فى إسرائه ε إلى بيت المقدس

الحكمة فى إسرائه ε إلى بيت المقدس:

قال ابن أبى جمرة إن الحكمة فى الإسراء برسول الله ε إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء هى إقامة الحجة على المشركين لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمراغمة المشركين والضعفاء سبيلاً إلى إلزامهم الحجة حيث لا علم لهم بالعالم العلوى بخلاف ما وقع له فى إسرائه إلى بيت المقدس ووصفه لهم وقد عرفوه فى تجارتهم وأسفارهم وهم على يقين من أن النبى ε لم يره من قبل.

فلما وصفه لهم باباً باباً ونافذة نافذة. كان برهاناً على صدقه وإذا صدقوه فى إسرائه كان ذلك إلزاماً لهم على تصديقه فى المعراج(١).

وقال السيوطى – رحمه الله – .. إن الحكمة فى ذلك .. لإرادة إظهار الحق على من عاند. لأنه لو عرج به من مكة إلى المساء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح فلما ذكر – عليه الصلاة والسلام – أنه أسرى إلى بيت المقدس سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها من قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكر(٢).

وقال صاحب "الظلال" – رحمه الله – .. والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير. تربط بين عقائد التوحيد الكبير من لدن إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) إلى محمد خاتم

(١) راجع: الإسراء والمعراج .. للدكتور/ محمد أبو شهبة ص ٨٥–٨٦.
(٢) راجع: شرح قصة الإسراء والمعراج. للإمام جلال الدين السيوطى ص ٥٢.

النبيين وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً. وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رساته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعاً فهى رحلة ترمز إلى أبعد حدود الزمان والمكان وتشمل أماداً وأفاقاً أوسع من الزمان والمكان وتتضمن معانى أكبر من المعانى القريبة التى تتكشف منها للحظة الأولى(١).

ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - .. إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم .. فقد ظلت النبوات دهوراً طوالاً وهى وقف على بنى إسرائيل ظل فيها بيت المقدس مهبطاً للوحى، ومشرق أنواره على الأرض. وقضية الوطن المحب إلى شعب الله المختار .. فلما أهدر اليهود كرامة الوحى وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله .. وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد .. ومن ث كان مجئ الرسالة إلى "محمد ε" انتقالاً بالقيادة الروحية فى العالم من أمة إلى أمة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل وقد كان غضب اليهود مشتملاً لهذا التحول.. مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره، قال تعالى: [**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**](٢).

لكن إرادة الله مضت وحملت الأمة الجديدة رسالتها .. وورث النبى العربى تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب. وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضى. وادمج الكل فى حقيقة واحدة. أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فى الإسلام وأن ينتقل إليه

(١) راجع: فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، المجلد الرابع ج١٥ ص٢٢١٢ ط الشروق. بيروت. القاهرة، الطبعة التاسعة ١٩٨٠م.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٩٠.

الرسول ε فى إسرائه، يكون هذا الانتقال احتراماً للإيمان درج – قديماً – فى رحابه[١]. ولى فى هذا المقام أيضاً أن الله عز وجل أراد أن يطلع نبيه على أهم آفاق الأرض المرسل إلى أهلها جميعهم وبذا يكون النبى ε قد زار أهم الأماكن التى أرسل إليها أهلها ورسالته دائمة لهم عبر أجيالهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقد ثبت أنه ε أمر أثناء الرحلة بالتوقف فى طيبة وفى طور سيناء وفى غيرهما من الأماكن الأخرى وأعلم بفضل كل مكان منهما .. الأمر الذى يدل على ان النبى ε قد زار الأماكن التى أرسله الله ε إلى أهلها.

٪ ٪ ٪

(١) راجع: فقه السيرة .. للشيخ محمد الغزالى ص ١٤٠–١٤١ ط دار الكتب الإسلامية. الطبعة الثامنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

المطلب الرابع
مبـــدأ الإســـــراء

من أين ابتدأ الإسراء؟

قال تعالى: [مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ][١] وظاهر رواية شريك عن أنس .. وهو نائم فى المسجد الحرام[٢] ورواية قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة .. بينما أن عند البيت بين النائم واليقظان[٣].

وفى رواية الطبرانى .. عن أم هانئ أنه بات فى بيتها ففقدته من الليل فقال: "إن جبريل أتانى"[٤].

وفى رواية الواقدى .. أسرى بى من شعب أبى طالب[٥] وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: "كان أبو ذر يحدث أن الرسول ε قال: "**فرج سقف بيتى وأنا بمكة**"[٦].

والجمع بين هذه الأقوال: أنه ε نام فى بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبى طالب ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إلى نفسه لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملك. فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعاً وبه أثر النعاس ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق[٧].

---

(١) سورة الإسراء من الآية الاولى.
(٢) أخرجه: الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب بدء الخلق. باب كان النبى ε تنام عينه ولا ينام قلبه. ج٢ ص٢٧٣.
(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه. فى كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ε وفرض الصلوات ج٣ ص٢٢٣.
(٤) راجع: فتح البارى ج٧ ص١٤١.
(٥) راجع: فتح البارى ج٧ ص١٤١.
(٦) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه، فى كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ε وفرض الصلوات ج٣ ص٢١٧-٢١٨.
(٧) راجع: فتح البارى ج٧ ص ١٤١، وعمدة القارئ للعينى ج١٧ ص٢٣ ط المنيرية.

والحكمة من نزوله عليه من السقف:

للإشارة إلى المبالغة فى مفاجأته بذلك[١]. وكون ذلك أوقع صدقاً فى القلب فيما جاء به[٢]. وقال بعضهم .. ليس بين قوله ε "بينما أنا فى المسجد الحرام" وبين قوله: "فى بيتى" أو "فى بيت أم هانئ" تناف لأنه قد يكون المراد بالمسجد الحرام (الحرم) قال ابن عباس τ الحرم كله مسجد وقال ابن حجر – رحمه الله – إطلاق لفظ المسجد الحرام على دور مكة وعلى الحرم حولها. ليس من قبيل الحقيقة اللفظية قطعاً بل من باب التغليب المسوغ للمجاز المتوسع فيه[٣].

فالإسراء .. كان من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس من أول مسجد بنى على وجه الأرض إلى ثانى مسد بنى عليها .. ففى صحيح مسلم عن أبى ذر τ قال: "سالت رسول الله ε عن أول مسجد وضع فى الأرض؟ قال: "المسجد الحرام" قلت ثم أى؟ قال: "المسجد الأقصى" قلت كم بينهما؟ قال: "أربعون عاماً .. ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل"[٤].

% % %

(١) راجع: فتح البارى ج٧ ص١٤١.
(٢) راجع: الإسراء والمعراج لمحمد لنور الدين ص ٣٤.
(٣) راجع: الإسراء والمعراج لمحمد نور الدين ص ٣٤.
(٤) أخرجه: الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة صحيح مسلم بشرح بشرح النوى ج٥ ص٣.

المطلب الخامس
هل كان الإسراء يقظة أم مناماً؟

ذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أنهما وقعا فى اليقظة بجسد النبى ε وروحه بعد المبعث.

قال الحافظ ابن حجر: وتواردت على ذلك ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عن ذلك. إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل(١).

وقوله: [**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى**] .. لأن التسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ولو كان مناماً لم يكن فيه كبير شئ ولما بادرت قريش إلى إنكاره ولا ارتد جماعة من ضعفاء من أسلم ولأن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ويؤيد ذلك(٢). ما قاله ابن عباس τ فى قوله تعالى: [**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**](٣) قال هى رؤياً "عين" أريها رسول الله ε ليلة أسرى به إلى بيت المقدس(٤).

وذهب بعض من العلماء .. إلى أن معجزتى الإسراء والمعراج كانتا مناماً مستدلين على ذلك بقوله تعالى: [**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**](٥) على أن المراد بها ما رأى ليلة الإسراء والمعراج. والرؤيا إنما تطلق على ما كان مناماً ولظاهر ما فى بعض الأحاديث السابقة التى يدل ظاهرها

(١) راجع: فتح البارى ج٦ ص١٣٦-١٣٧.
(٢) راجع: المسجد الأقصى .. للدكتور/ عبد العظيم عطية السكران ص ٤٤.
(٣) سورة الإسراء، من الآية ٦٠.
(٤) أخرجه: أحمد فى مسنده ج١ ص٢٢١-٣٧٠، والبيهقى فى الدلائل ج٢ ص٣٦٥.
(٥) سورة الإسراء، من الآية ٦٠.

على أنه كان فى المنام .. وما جاء عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "ما فقدت جسد رسول الله ε"[١]، وهذا القول مردود .. وذلك من وجوه:

أولاً: أن النبى ε لما عاد من رحلة الإسراء والمعراج وحدث بذلك كذبته قريش واستبعدت وقوعه، ولو كان مناماً ما فعلوا ذلك. قال أبو حيان فى البحر المحيط: "كانت قريش حين أخبرهم ε بأمره فى الإسراء كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم ε بيت المقدس[٢] فقد أخرج البخارى عن جابر ابن عبد الله عنهما أنه سمع رسول الله ε يقول: "لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه"[٣].

ثانياً: أن الله عز وجل ذكر الإسراء فى كتابه بصيغة التنزيه له والتعجيب للحادث والتشريف لرسوله ε فقال .. [**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**][٤]. ولو كان مناماً أما استحق ذلك.

قال ابن جرير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: تنزيهاً للذى أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكاً وأن له صاحبة وولداً وعلواً له وتعظيما عما أضافوه إليه ونسبه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم[٥].

---

(١) راجع: السيرة النبوية .. لابن هشام ج٢ ص ٢٥١، ط دار التراث العربى، وجامع البيان.. للطبرى ج١٥ ص١٣، والشفا بتعريف حقوق المصطفى .. للقاضى عياض ج١ ص١٨٧.

(٢) راجع: البحر المحيط، لأبى حيان ج٦ ص٥-٦.

(٣) أخرجه: الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب "بدء الخالق" باب حديث الإسراء ج٢ ص٣٢٦.

(٤) سورة الإسراء، من الآية الأولى.

(٥) راجع: جامع البيان للطبرى. المجلد الثامن ج١٥ ص٢.

ويقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – يمجد الله تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا إله غيره ولا رب سواه(١).

ثالثاً: أن الله عز وجل أثبت ريا القلب بقوله تعالى: [مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى](٢). ورؤيا العين بقوله تعالى: [**مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى**](٣). وبقوله تعالى: [**فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**](٤). فهى رؤيا عين إذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به أحد.

قال ابن حجر – رحمه الله – زاد سعيد بن منصور عن سفيان فى آخر الحديث .. وليس رؤيا مناماً(٥).

رابعاً: أما الروايات التى استندوا إلى ظاهرها "وهو نائم فى المسجد الحرام"(٦)، "بينما أن عند البيت بين النائم واليقظان"(٧). فالمراد أنه كان كذلك فى ابتداء الحال ثم أوقظ ورب البراق واستمر فى يقظته وأما ما جاء فى آخر رواية شريك "فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام"(٨). الحرام"(٨). فالمراد أنه نام بعدما رجع ثم استيقظ ومعنى استيقظ أفاق أفاق مما فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت(٩).

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٢.
(٢) سورة النجم، الآية ١١.
(٣) سورة النجم، الآيتان ١٧، ١٨.
(٤) سورة الإسراء، من الآية ٦٠.
(٥) راجع: فتح البارى لابن حجر ج٨ ص٣٢ ط عبد الرحمن محمد.
(٦) أخرجه: الإمام مسلم فى كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ε وفرض الصلوات ج٢ ج٢ ص٢١٧ – صحيح مسلم بشرح النووى.
(٧) أخرجه: الإمام البخارى فى كتاب بدء الخلق. باب ذكر الملائكة ج٢ ص٢١٠.
(٨) أخرجه: الإمام البخارى فى كتاب التوحيد باب قوله [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً] ج٤ ص٣٠٠-٣٠١-٣٠٢ بشرح السندى.
(٩) راجع: فتح البارى ج٧ ص١٤١، ط عبد الرحمن محمد – وعمدة القارئ شرح صحيح البخارى. للعينى ج٧ ص٢٣ ط الطباعة المنيرية.

خامساً: أما بالنسبة لقول عائشة رضى الله عنها: "فمعترض بأنها كانت صغير لم تشاهد ولا حدثت عن رسول الله ε"[١].

ومعلوم أن النبى ε خطبها بمكة وبنى بها بالمدينة وقد وهن هذا القول القاضى عياض فى الشفاء[٢].

وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان فى اليقظة والمعراج كان فى المنام ويمكن أن يجاب عن ذلك باحتمال أنه ε لما بادءوه بالتكذيب فى الإسراء لم يسترسل معهم بذكر المعراج.

وأرجح هذه الأقوال هو ما ذهب إليه السلف والخلف من أن الإسراء والمعراج كانا بجسده وروحه ε معاً.

٪ ٪ ٪

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن. للقرطبى ج١٠ ص١٣٧، ط الكتب العلمية.
(٢) راجع: الشفاء. للقاضى عياض ج١ ص١٩٤.

المطلب السادس
هل كان الإسراء والمعراج فى ليلة واحدة أم لا؟

ذهب جماعة إلى أن الإسراء كان فى ليلة. والمعراج فى ليلة أخرى اعتماداً على أن بعض الروايات اقتصرت على الإسراء وبعضها اقتصر على المعراج.

وهذا مرود بأنه محمول على أ، بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر .. ولا يستدل بأن الإمام البخارى – رحمه الله – بوب للإسراء وحده وللمعراج وحده فى السيرة النبوية. لأن للبخارى – رحمه الله – مقاصد جليلة لمن أراد التفقه فيذكر الحديث لمناسبات دقيقة وقد يقطعه أو يكرره على ما هو معروف .. فإذا نظرنا إلى رواية أنس بن مالك وجدنا الدليل على أنهما كان فى ليلة واحدة.

ففى باب المعراج يسوق الحديث عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبى الله ε حدثهم عن ليلة أسرى بى ثم يذكر شق الصدر والإتيان بالبراق وحمله عليه(١).

والراجح عند العلماء أن آلة الإسراء البراق. وأما المعراج فكان سلماً عرج عليه ε وبعد ذلك يسوق المعراج فيقول: "فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا"(٢) فدل على أنهما كانا فى ليلة واحدة إلا أنه طرى تفضيل الإسراء بالذهاب إلى بيت المقدس وإن كان القرآن الكريم لا يسوق القصة مساقاً واحداً وإنما يذكرها متغايرة فى مكان عن غيره على حسب السياق .. فكذلك الإمام البخارى فى صحيحه .. وكذلك رواية أنس عن مالك بن صعصعة فى ذكر الملائكة فى بدء الخلق(٣). فيها ذكر البراق ثم ما رآه فى

(١) راجع: صحيح البخارى. كتاب بدء الخلق باب حديث الإسراء ج٢ ص٣٢٧–٣٢٨.
(٢) راجع: صحيح البخارى. كتاب بدء الخلق باب حديث الإسراء ج٢ ص٣٢٧.
(٣) راجع: صحيح البخارى. كتاب بدء الخلق باب حديث الإسراء ج٢ ص٢١٠.

المعراج وكذلك رواية شريك عن أنس فى بدء الخلق وفيها سمعت أنس بن مالك يقول: "ليلة أسرى برسول الله ε ... وفيها يقول ... ثم عرج بى إلى السماء"[١] .. فدل ذلك على ان القصة وقعت واحدة.

أما رواية أنس عن أبى ذر فلم يذكر فيها ليلة أسرى به ولم يذكر البراق وقد جاءت فى كتاب الصلاة وساقها البخارى فى باب كيف فرضت الصلاة فى الإسراء[٢]؟ وذكر المعراج فدل على أنهما فى ليلة واحدة .. كما توجد أحاديث تذكر الإسراء وحده فيحمل كما تقدم على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر.

على أن رواية ثابت البنانى عن أنس جمعت بين الإسراء والمعراج[٣].

٪ ٪ ٪

(١) راجع: صحيح البخارى. كتاب التوحيد باب قوله وكلم الله موسى تكليماً – ج٤ ص٣٠٠ وما بعدها.

(٢) راجع: صحيح البخارى. باب كيف فرضت الصلوات فى الإسراء ج١ ص٧٣-٧٤.

(٣) راجع: صحيح بشر النووى ج٢ ص٢١١.

المطلب السابع
هل تعدد الإسراء والمعراج؟

ذهب بعض المتأخرين إلى أن النبى ε أرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط. ومرة من مكة إلى السماء فقط. ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء .. وفرح بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشئ يخلص به من الإشكالات.

ولقد ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – هذا القول ثم رده قائلاً: "وهذا ضعيف جداً ولم ينقل عن أ؛د من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبى ε به أمته ولنقله بين الناس على التعدد والتكرار"(١).

قال ابن حجر – رحمه الله .. "إن من المستبعد وقوع التعدد فى قصة المعراج التى وقع فيها سؤاله عن كل نبى وسؤال أهل كل باب. هل بعث إليه؟ وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فإن تعدد ذلك فى اليقظة لا يتجه فيتعين رد الروايات المختلفة إلى بعض أو الترجيح، إلا أنه لا بعد فى وقوع ذلك فى المنام وتوطئة ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه(٢).

والذى أراه من خلال ما صرح به القرآن الكريم أن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج من المسجد الأقصى إلى ما فوق سدرة المنتهى. لم يتعدد بل وقع للنبى ε مرة واحدة إذ لم يثبت عن أى من رواة أحاديث الإسراء والمعراج أنه روى التعدد ولم يفهم من الآيتين الواردتين بالنص فى الإسراء وبالإشارة فى المعراج أنهما وقعتا للنبى ε أكثر من مرة الأمر الذى جعلنى أجزم بعدم تعددهما.

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم. لابن كثير ج٣ ص٢٢.
(٢) راجع: فتح المنعم ج٢ ص ٣٧٨.

قال ابن كثير – رحمه الله .. بعدما أورد جل الروايات الواردة فى الإسراء والمعراج. وإذا حصل الوقوف على هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ε من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة وإن اختلفت عبارات الرواة فى أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على وحده فأثبتت إسراءات فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على المطلب(١). وما جاء من حديث أنس بن مالك رضى قال: قال رسول الله ε: "بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فركز على كتفى فقمت إلى شجرة فيها كوكرى الطير فقعد فى إحداهما وقعدت فى الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفى ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاط فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لى باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى(٢).

فليس غسراء كما قاله بعضهم وإنما هو فيما أرى تطواف إلهى بنبيه ε حول الأرض كلها ليطلعه عليها لأن رسالته إلى سائر من فى أرجائها وليس هذا التطوف هو الشئ الوحيد فى إطلاع النبى ε على جميع أرجاء الأرض بل جاء فى الخبر أن النبى ε قال: "زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها"(٣). وفى رواية زويت فى الأرض فرأيت جميع أطرافها .. وفى هذا وفى الذى قبله أبلغ دليل على

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ج٣ ص٢٢.
(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم. لابن كثير ج٣ ص٥.
(٣) صحيح مسلم فى كتاب الفتن وأشراط الساعة، ورواه البزار فى مسنده "كشف الأستار" وقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور به. وقال: "وهذا لا نعلم رواه إلا أنس ولا رواه عن ابى عمران غلا الحارث وكان بصرياً مشهوراً". ج١٨ ص٩١٣ بلفظ إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زى لى منها. وفى ج١٨ ص١٤ بلفظ .. إن الله تعالى زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها و مغاربها وأعطانى الكنزين الأحمر والأبيض.

أن الله عز وجل أرى نبيه ε كل نواحى الأرض لا بالإسراء الذى ذكره فى كتابه عز وجل وإنما بدوران الشجرة حول الأرض تارة وبزويه تعالى الأرض له ε حتى رأى جميع أطرافها تارة أخرى.

قال ابن كثير بعدما ذكر الحديث وبين رواته ورورياته. وهذا إن صح يقتضى أنها واقعة غير ليلة الإسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهى كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم[١].

٪ ٪ ٪

(١) راجع: تفسير ابن كثير ج٣ ص٥.

المطلب الثامن
زمن الإسراء والمعراج:

لقد اختلف العلماء فى سنة الإسراء والمعراج اختلاف كثيراً .. فقيل.. كان قبل الهجرة بسنة. قال الإمام القرطبى – رحمه الله – واختلف فى ذلك على بن شهاب فروى عنه موسى بن عقبة .. أنه أسرى به إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة[١]. قال ابن كثير – رحمه الله–.

قال موسى بن عقبة عن الزهرى كان للإسراء قبل الهجرة بسنة. وكذا قال عروة[٢] .. وقال السيوطى – رحمه الله –: وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عبد الله بن عمر وأم سلمة وعائشة وأم هانئ وابن عباس رضى الله عنهم دخل حديث بعضهم فى بعض .. قالوا أسرى برسول الله ε ليلة سبع عشر من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبى طالب إلى بيت المقدس[٣]، وقال أيضاً: وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أسرى بالنبى ε ليلة سبع عشر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة[٤]. وقيل قبل الهجرة بستة عشر شهراً.

قال ابن كثير .. قال السدى – كان الإسراء قبل الهجرة – بستة عشر شهراً.

وقال السيوطى .. أخرج البيهقى فى الدلائل .. عن ابن شهاب τ قال أسرى برسول الله ε إلى بيت المقدس – قبل خروجه إلى المدينة بستة عشر

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١٠ ص١٣٨ دار الكتب العلمية – بيروت.
(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٢٢.
(٣) راجع: الدر المنثور فى التفسير المأثور .. لجلال الدين السيوطى ج٤ ص٢٧٥ ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
(٤) راجع: الدر المنثور ج٢ ص٢٧٦.

شهراً[١] - وأخرج البيهقى عن عروة مثل وأخرج البيهقى عن السدى τ قال: أسرى برسول الله ε إلى بيت المقدس قبل الهجرة بستة عشر شهراً[٢].

وقيل كان قبل الهجرة بسنة وشهرين. وقيل بسنة وستة أشهر، وقيل بسنة وخمسة أشهر. وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين. وقيل قبل الهجرة بخمس سنين.

وقد ذكر ابن حجر العسقلانى - رحمه الله - هذه الأقوال. فقال: وقد اختلف فى وقت المعراج فقيل كان قبل المبعث وهو شاذ إلا أن حمل على أنه وقع حينئذ فى المنام كما تقدم .. وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث ثم اختلفوا فقيل كان قبل المبعث وهو شاذ إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ فى المنام كما تقدم .. وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث ثم اختلفوا فقيل قبل الهجرة بسنة. قاله بن سعد وغيره وبه جزما لنووى. وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه. وهو مردود فإن فى ذلك اختلافاً كثيراً على عشرة أقوال. منها ما حكاه ابن الجوزى أنه كان قبلها بثمانية أشهر وقيل بستة أشهر وحكى هذا الثانى أبو الربيع بن سالم. وحكى ابن حزم مقتضى الذى قبله لأنه قال. كان فى جرب سنة اثنتى عشرة من النبوة وقيل بأحد عشر شهراً جزم به إبراهيم الحربى حيث قال .. كان فى ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة. ورجحه ابن المنير فى شرح السيرة لابن عبد البر. وقيل قبلها بسنة وشهرين حكاه ابن عبد البر. وقيل قبلها بسنة وثلاثة أشهر حكاه ابن فارس. وقيل بسنة وخمسة أشهر قاله السدى وأخرجه من طريقه الطبرى والبيهقى .. فعلى هذا كان فى شوال أو فى رمضان على إلغاء الكسرين منه ومن ربيع الأول وبه جزم الواقدى، وعلى ظاهره ينطبق ما ذكره ابن قتيبة وحكاه ابن عبد البر أنه كان

(١) راجع: الدر المنثور ج٤ ص٢٧٦.
(٢) راجع: الدر المنصور ج٤ ص ٢٧٦.

قبلها بثمانية عشر شهراً. وعن ابن سعد عن ابن أبى سبرة أنه كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً. وقيل كان فى رجب حكاه ابن عبد البر وجزم به النووى فى الروضة. وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير. وحكى عياض وتبعه القرطبى والنووى عن الزهرى أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ورجمه عياض ومن تبعه واحتج بأنه لا خلاف بأن خديجة صلت معه صلى بعد فرض الصلاة ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو نحوها وإما بخمس ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء(١).

ويعلق فضيلة الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين – حرمه الله – على القول الأخير بقوله: "ورد هذا الاستدلال بأن عائشة جزمت بأن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة وبأنهم قد اختلفوا فى فرض الصلاة. فقيل كان فى أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى. وإنما الذى فرض ليلة الإسراء الصلوات الخمس .. وبناء على هذين الردين يحمل قول عائشة على أن مرادها قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

ويحمل القول بأنها ماتت بعد أن فرضت الصلاة وأنها كانت تلى معه على الصلاة التى قبل الصلوات الخمس فيجمع بذلك بين القولين ويرد على الاستدلال(٢).

أما عن الشهر الذى كان فيه .. فالذى رجحه ابن المنير – رحمه الله – فى السنة: ربيع الآخر .. وقيل ربيع الأول .. وقيل فى رجب وهو المشهور(٣).

(١) راجع: فتح البارى لابن حجر ج٧ ص٢٠٣.
(٢) راجع: فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين ج٢ ص٣٨٠.
(٣) راجع: شرح قصة الإسراء والمعراج .. للإمام/ جلال الدين السيوطى ص ٣١.

وعن ليلته قالوا .. إنه كان فى الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب وكان ليلة سبت .. وقيل كان ليلة جمعة.

وقد جزم الإمام النووى – رحمه الله – بأنه كان فى رجب. وجرى الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى – رحمه الله – فى سيرته على أنه فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب.

وهذا الرأى هو الذى سار عليه عمل المسلمين إلى الآن واتخذت "جمهورية مصر العربية ومعظم الدول الإسلامية" هذه الليلة عيداً تحتفل فيها بالإسراء والمعراج وإليه ذهب ابن الأثير والرافعى – رحمهما الله–(١).

وقد ذكر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أثراً عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس .. قالا: ولد رسول الله ε عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول .. وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر.

ويعلق – رحمه الله – على هذه الرواية بقوله: "وقد اخاره عبدالغنى بن سرور المقدسى فى سيرته. وقد أورد هنا حديثاً لا يصح سنده ذكرناه فى فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين منه والله أعلم.

ثم قال: "ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول جمعة من رجب وهى ليلة الغرائب التى أحدث فيها الصلاة المشهورة والأصل لذلك والله أعلم(٢). والذى تركن إليه النفس بعد البحث والتأمل أنهما كانا فى ربيع الأول فى ليلة الثانى عشر منه أو السابع عشر منه(٣).

(١) راجع: الإسراء والمعراج .. للشيخ/ على محمد شاكر ص ٣٢.
(٢) راجع: البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص١٠٩ ط منشورات مكتبة المعارف – بيروت.
(٣) راجع: الإسراء والمعراج للدكتور/ محمد ابو شهبة ص٣٦.

المطلب التاسع
هل رأى النبى ε ربه عز وجل ليلة الإسراء والمعراج؟

إن الخلاف فى رؤية الله عز وجل بدأ من عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته ومنهم من توقف فل يقل لا بالإنكار ولا بالإثبات.

قال القاضى عياض – رحمه الله – .. اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ε ربه ليلة الإسراء؟ فأنره السيدة عائشة رضى الله عنها .. وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين(١). هذا هو القول الأول.

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه. بسنده المتصل عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة قالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية(٢). قلت وما هن قال: من زعم أن محمداً ε رأى ربه فقد أعظم على الفرية قال وكنت متكئاً فجلست. قلت: يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ألم يقل الله عز وجل **[وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ]**(٣)، **[وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى]**(٤). فقالت أنا أول هذه الأمة .. سأل عن ذلك رسول الله ε فقال: "إنما هو جبريل لم أراه على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته من المساء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض.. فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: **[لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ]**(٥).

---

(١) راجع: صحيح مسلم بشرح النووى ج٣ ص٤، ط الدعوة الإسلامية.
(٢) هى بكسر الفاء وإسكان الراء ومقصدها الكذب .. يقال: فرى الشئ يفريه فرياً ويفتريه افتراء إذا اختلقه، وجمع الفرية (فرى). نفس المرجع السابق ج٣ ص٨.
(٣) سورة التكوير، الآية ٢٣.
(٤) سورة النجم، الآية ١٣.
(٥) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣.

أو لم تسمع أن الله يقول: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ](١) قالت ومن زعم أن رسول الله ε كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ](٢). قالت .. ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: [قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ](٣، ٤).

فعائشة رضى الله عنها اعتمدت فى إنكارها على آية (التكوير) وآية (النجم) على أن المراد بالمرئى إنما هو جبريل لا (رب العزة) - وكذلك ابن مسعود كان يرى أن المرئى إنما هو جبريل - واعتمدت عائشة رضى الله عنها فى فهمها واجتهادها على الآيتين الآخرين - آية (الأنعام) وآية (الشورى) - لكن ما ذهبت إليه فى آية (التكوير) وآية (النجم) لا نزاع فيها لأنها سمعته من انلبى ε ولكن النزاع فيما زعمته فى آية (الشورى) وآية (الأنعام) لأنه كان باجتهاد منها فى إنكارها الرؤية فلا يصلح دليلاً على نفى الرؤية لأن آية (الشورى) لا تدل على نفى الرؤية لأنه لا يلزم من وجود الرؤية الكلام مقارناً لها فيجوز أن يكون وجود الرؤية من غير كلام.. والآية قد حصرت الكلام فى ثلاث أمور.

إما بالوحى وهو الإلهام أو المنام. ،غما من وراء حجاب. وإما أن يرسل رسولاً. والرؤية من غير كلام غير هذه الثلاثة كلها. فالآية لا تصلح دليلاً على نفى الرؤية. كما أن رؤية الله جائزة بدليل أن سيدنا موسى عليه

(١) سورة الشورى، الآية ٥١.
(٢) سورة المائدة، من الآية ٦٧.
(٣) سورة النمل، الآية ٦٥.
(٤) أخرجه: الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان باب معنى قوله عز وجله: [وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى] - صحيح مسلم ج٣ ص٨-٩.

السلام سألها فلو كانت غير ممكنة ما سألها لأن سيدنا موسى عليه السلام لا يجهل ما يجوز وما يستحيل على الله وجواز الرؤية فى الدنيا لم يقع لأحد من الأنبياء إلا لسيدنا محمد ε فعلى ذلك استدلال السيدة عائشة رضى الله عنها بآية (الشورى) كان باجتهاد وفهم منها فلا يصلح دليلاً على الرؤية .. وأما آية (الأنعام) فالإدراك معناه الإحاطة كما تدل عليه اللغة فى القرآن [**قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**](١).

ونفى الإحاطة لا يلزم منه ولا يقتضى نفى الرؤية من غير إحاطة بل إن ابن عباس رضى الله عنه كان يؤول هذه على نحو ما ذكرنا.

ففى سنن الترمذى عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول: [**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**](٢) الآية.

قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين(٣).. إذا فآية الأنعام على ذلك لا تصلح هى الأخرى دليلاً على نفى الرؤية.

موقف الإمام القرطبى من استدلال عائشة رضى الله عنها:

لقد رد الإمام القرطبى – رحمه الله – استدلال السيدة عائشة رضى الله عنها بقوله تعالى: [**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**] .. فقال الأبصار فى الآية جمع محلى بالألف واللام. فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعاً من قوله تعالى: [**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**](٤) فيكون المراد الكفار بدليل

(١) سورة الشعراء، من الآية ٦١.
(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣.
(٣) راجع: الإسراء والمعراج. للأستاذ الدكتور/ محمد أبو شهبة ص٩٣–٩٧ بتصرف – وفى رحاب الإسراء والمعراج للدكتور/ محمد عبد الحميد حسان ص١٧٢. قمال منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية العدد الحادى عشر ١٤١١هـ/١٩٩١م.
(٤) سورة المطففين، الآية ١٥.

قوله تعالى: [وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ][1] قال. وإذا جازت الرؤية فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة إلى المرئى[2].

القول الثانى:

قال القاضى عياض .. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رآه بعينه ومثله عن أبى ذر وكعب رضى الله عنهما وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الأشعرى وجماعة من أصحابه أنه رآه[3].

إذن فالقائلون برؤية الله عز وجل جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم .. وكان عروة بن الزبير τ يغضب عندما يذكر أحد رؤية رسول الله ε لربه وكان يغضب إنكار عائشة للرؤية[4]. فقد رويت عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما روايات كثيرة من المطلق[5] ومنها المقيد[6] .. فينبغى حمل الروايات المطلقة على الروايات المقيدة.

فمن الروايات المطلقة ما أخرجه النسائى بسنده المتصل عن ابن عباس قال: "أتعجبون أن الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤيا لمحمد عليه الصلاة والسلام"[7].

---

(١) سورة القيامة، الآية ٢٢.
(٢) راجع: فتح البارى ج٨ ص٤٣٠.
(٣) راجع: صحيح الإمام مسلم. بشرح النووى ج٣، ص٤.
(٤) راجع: فى رحاب الإسراء والمعراج ص ١٧٣.
(٥) المطلق هو: ما دل على الماهية من غير قيد نحو رقبة فى قوله [فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ] [سورة النساء: من الآية ٩٢]. فلفظ رقبة يصدق على أى فرد فأى رقبة تصلح وتكفى.
راجع: الأصلان فى علوم القرآن للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعى ص ١٨٥ ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ودراسات فى علوم القرآن. للأستاذ الدكتور/ السيد أحمد سويلم ج٤ ص٦٤، ط الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
(٦) المقيد هو: ما أخرج عن الانتشار بوجه ما وكان مستقلاً فمثلاً مرمنية فى قوله تعالى [فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ] [سورة النساء: من الآية ٩٢] – هو قيد ضيق فى مدلول رقبة وحصرها فى المؤمنين .. ولابد أن يكون مستقلاً لإخراج المعارف .. فإن العلم مثلاً –مانع من الانتشار بقيد العالمية لكنه مستقل.
راجع: الأصلان فى علوم القرن ص ١٨٦.
(٧) راجع: الجامع لأحكام القرين ج١٧ ص٦٢.
والحديث أخرجه النسائى فى السنن الكبرى – كتاب التفسير – باب ٣٥٥ سورة النجم ج٦ ص٤٧٢ رقم ١١٥٣٩.

أما الروايات المقيدة فمنها ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن عباس فى قوله تعالى: [مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى][(١)]. وقوله: [**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**][(٢)].

قال رآه بفؤاده مرتين[(٣)]. أى أن المراد بالرؤية فى الآيتين رؤية النبى ε لربه مرتين.

ومعنى قوله تعالى: [**نَزْلَةً أُخْرَى**] يعود إلى النبى ε فقد كانت له عرجات فى تلك الليلة لاستحطاط عدد الصلوات فكل عرجة نزلة[(٤)] .. هذا بخلاف رأى عائشة التى تفسر النزلة بالمرة على النبى ε رأى جبريل فى صورته الحقيقية[(٥)].

التوفيق بين القولين (الأول والثانى):

قال ابن القيم – رحمه الله – بعد أن أورد أقوال ابن عباس وعائشة وأبى ذر فى ثبوت الرؤية ونفيها – وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره. قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية قدس – الله روحه – .. وليس قول ابن عباس "أنه رآه" مناقضاً لهذا ولا قوله "رأه بفؤاده" وقد صح عنه أنه قال: "رأيت ربى تبارك وتعالى .." ولكن لم يكن هذا فى الإسراء وإنما كان فى المدينة لما احتبس عنهم فى صلاة الصبح. ثم أخبرهم رؤية به تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد –

(١) سورة النجم، الآية ١١.

(٢) سورة النجم، الآية ١٣.

(٣) أخرجه: الإمام مسلم فى كتاب الإيمان – باب معنى قوله تعالى: [وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى] ج٢ ج٢ ص٧.

(٤) راجع: صحيح مسلم بشرح النووى ج٢ ص٧.

(٥) راجع: فى رحاب الإسراء والمعراج ص١٧٤.

رحمه الله – وقال: "نعم رآه حقاً" فإن رؤيا الأنبياء حق ولابد ولكن لم يقل أحمد – رحمه الله – أنه رآه بعينى رأسه يقظة. ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه. ولكن قال مرة رآه. ومرة قال رآه بفؤاده. فحكيت عنه روايتان وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعينى رأسه وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك(١).

وممن ذكر الجمع بني المثبتين والنافعين فى رؤية الله عز وجل الإمام الألوسى – رحمه الله – حيث قال فى تفسيره "جمع بعضهم بين قول السيدة عائشة وابن عباس بأن نفى عائشة للرؤية لله محمود على رؤيته فى نوره الذى هو نور المنعوت بأن البصر لا يقوى ولا يطيقه أما قول ابن عباس فيحمل على ثبوت رؤيته فى نوره الذى لا يذهب بالأبصار لغز منه قوله لعكرمة فى جوابه عن قول الله تعالى: [**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**](٢). ويحك ذلك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وبه يظهر كما يمكننى أن أجمع بين حديثى أبى ذر .. فقد ذكر مسلم لها فى صحيحه بسنده عن أبى ذر قالت .. سألت النبى ε .. هل رأيت ربك قال: "نور أنى أراه"(٣). أى حال بينى وبين رؤية النور هو حجابه فكيف أراه؟

وعن أبى ذر قال سالت رسول الله ε: "هل رأيت ربك .. قال رأيت نوراً"(٤). فيحمل النور فى الحديث الأول على النور القاهر للأبصار ويجعل

(١) راجع: زاد المعاد لابن القيم ج٢ ص٥٤، ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٩٠هـ.
(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣.
(٣) أخرجه: الإمام مسلم فى كتاب الإيمان – باب ما جاء فى رؤية الله عز وجل ج٣ ص١٢.
(٤) أخرجه: الإمام مسلم فى كتاب الإيمان – باب ما جاء فى رؤية الله عز وجل ج٣ ص١٢ عن عبد الله بن شفيق قال: قلت لأبى ذر. لو رأيت رسول الله ε لسألته فقال: عن أى شئ كنت تسأله. قال: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر قد سألت. فقال: رأيت نوراً.

التنوين للنوعية أو التعظيم والنور فى الحديث الثانى على النور الذى فى الحديث يقوم له البصر"[١] أ. هـ.

وقال ابن حجر – رحمه الله – يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفى عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب[٢].

وقال النووى – رحمه الله – وأما صاحب التحرير فقد اختار إثبات الرؤية – قال – والحجج فى هذه المسألة وإن كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضى الله عنه .. أتعجبون أن الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ε. وعن عكرمة سئل اب عباس τ. هل رأى محمد ε ربه؟ قال نعم. وقد روى بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال: "رأى محمد ε وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد ε ربه والأصل فى الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه فى المعضلات. وقد راجعه ابن عمر τ فى هذه المسألة وسؤله هل رأى محمد ε ربه. فأخبراه أنه رآه ولا يقدح فى هذا حديث عائشة لأن عائشة رضى الله عنها لم تخبر أنها سمعت رسول الله ε.

يقول لم ار ربى وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً][٣]. ولقوله تعالى: [**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**][٤]. والصحابى إذ قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا صحت الروايات عن ابن عباس فى إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنه ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أنه يظن بإن ابن عباس تكلم فى هذه المسألة بالظن

(١) راجع: روح المعانى والسبع المثانى .. للإمام الألوسى ج٢٧ ص ٥٣ ط المنيرية.
(٢) راجع: فتح البارى لابن حجر ج٨ ص٤٣.
(٣) سورة الشورى، من الآية ٥١.
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣.

والاجتهاد .. وقد قال معمر ابن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس .. ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره والمثبت مقدم على النافى[١] أ. هـ.

أما القول الثالث:

ذكره فضيلة الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين بقوله: وأمام هذا التعارض فى الأقوال رجح القرطبى فى المفهم القول بالتوقف فى هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين. وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع وغاية ما ستدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل.. قال وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها الأدلة الظنية وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى[٢].

وأرجح هذه الأقوال الثلاثة:

هو قول ابن عباس ومن معه أن رسول الله ε رأى به .. وعليه أكثر جمهور العلماء.

قال النووى – رحمه الله – فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ε رأى ربه بعينى رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ε، هذا مما لا ينبغى أن يتشكك فيه ثم إن عائشة رضى الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ε ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها.

(١) راجع: صحيح مسلم بشرح النووى ج٣ ص٥.

(٢) راجع: فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين ج٢ ص٤٢٤.

فأما احتجاج عائشة بقوله تعالى: [**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** (١)]. فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به. وإذا ورد النص بنفى الإحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى لا حاجة إليها مع ما ذكرناه فإنه فى نهاية من الحسن مع اختصاره.. وأما احتجاجها رضى الله عنها بقول الله تعالى: [**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً**](٢). الآية، فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجودها من غير الكلام.

الثانى: أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة.

الثالث: ما قال بعض العلماء أن المراد بالوحى الكلام من غير واسطة وهذا الذى قاله القائل وإن كان محتملاً. ولكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الإلهام والرؤيا فى المنام وكلاهما يسمى وحياً وأما قوله تعالى: [**أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**](٣). فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجاباً يفصل موضعاً من موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة من يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم والله أعلم(٤).

٪ ٪ ٪

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣.
(٢) سورة الشورى، الآية ٥١.
(٣) سورة الشورى، الآية ٥١.
(٤) راجع: شرح صحيح مسلم للنوى ج٣ ص ٥-٦.

المطلب العاشر
العجائب التى رآها رسول الله ε
فى ليلة الإسراء والمعراج:

وأما ما رآه ε فى ليلة الإسراء والمعراج من آيات ربه .. فقد وردت فيه آيات وأحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- ما رواه الطبرانى والبزرا عن أبى هريرة:

* أنه ε مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم .. لكما حصدوا عادوا كما كان .. فقال لجبريل عليه السلام: ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعفت لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف. وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين.
* ثم أتى قوماً ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من شئ. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.
* ثم أتى قوماً على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع. فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد.
* ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر. ولحم نيئ فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج. فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب. فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح. والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح.

* ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها .. فقال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها.

* ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شئ. قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

* ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثورة عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث ما خرج فلا يستطيع. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة يندم عليها فلا يستطيع أن يردها.

* ثم أتى على واد فوجد فيه ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتاً فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: "رب آتنى ما وعدتنى فقد كثرت غرفى وإستبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلؤى ومرجانى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى. ومواكبى وعسلى ومائى ولبنى وخمرى. فآتنى ما وعدتنى". قال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بى وبرسلى وعمل عملاً صالحاً. ولم يشرك بى شيئاً. ولم يتخذ من دونى أنداداً. ومن خشينى فهو آمن. ومن سألنى فقد أعطيته. ومن أقرضنى جازيته .. ومن توكل على كفيته. إننى أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد قد أفلح المؤمنون. وتبارك الله أحسن الخالقين .. قالت .. فقد رضيت.

* ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنة. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: "رب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغساقى وعذابى، وقد بعد قعرى واشتد حرى. فآتنى بما وعدتنى" .. قال: لك كل مشرك ومشركة. وكافر وكافرة. وكل جبار لا يؤمن بيوم الحاسب. قالت: قد رضيت فسار حتى أتى بيت المقدس(١).

(١) راجع: كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة. للحافظ الهيثمى ج١ ص٣٨-٤٠، حديث رقم ٥٥ ط مؤسسة الرسالة.

٢- وأخرج أحمد بسند صحيح:

من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ε: "لما كانت الليلة التى أسرى بى فيها أتت على رائحة طيبة فقلت يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة. فقال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: فقلت وما شأنها؟ قال: بينا هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم غذ سقط المدرى من يديها .. فقالت بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون أبى، قالت: لا ولكن ربى ورب أبيك الله، قالت أخبره بذلك؟ قالت: نعم. فدعاها فقال: يا فلانة: وإن لك رباً غيرى؟ قالت: نعم ربى وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها قالت له: إن لى إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفننا. قال ذلك لك علينا من الحق. قال فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مرضع وكأنها تقاعست من أجله قال يا أماه اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت. قال: قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار: "عيسى ابن مريم – وصاحب جريج – وشاهد يوسف – وابن مشطة ابنة فرعون"(١).

٣- وأخرج أيضاً عن أنس قال:

قال رسول الله ε: "لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم"(٢).

٤- وأخرج الترمذى وحسنه ابن مردوديه:

من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ε: "لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"(٣).

(١) أخرجه: الإمام أحمد فى مسنده ج٤ ص٢٩٥-٢٩٦.
(٢) أخرجه: الإمام أحمد فى مسنده ج٣ ص٢٢٤.
(٣) رواه: الترمذى فى كتاب الدعوات باب ما جاء فى فضل التسبيح والتهليل والتحميد ج٥ ص٥١٠ رقم ٣٤٦٢، ط دار إحياء التراث العربى.

٥- وأخرج ابن ماجة عن أنس قال:

قال رسول الله ε: "رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر .. فقلت يا جبريل .. ما بال القرض أفضل من الصدقة. قال: لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة"(١).

٦- وأخرج البيهقى عن أنس:

أنه ε "مر بشئ يدعوه متنحياً فقال له جبريل سر .. وأنه مر على عجوز فقال ما هذا .. فقال سر .. وفى أخره قال أما العجوز الذى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلى ما بقى من عمر تلك العجوز"(٢).

وهناك آيات .. وآيات .. وعبر .. وعظات. فوق العد وفوق الحصر .. وحسبنا ما ذكرناه ولكن لا بأس من اقتطاف عبارة وردت على لسان المستشرق الفرنسى (آتين دينيه) الذى أسلم وتسمى (نصر الدين) وذكرها فى كتابه (محمد رسول الله ε) وهو يتحدث عن الإسراء والمعراج قائلاً: "فما أن اخترق الرسول السموات السبع حتى سمع صرير الأقلام تكتب فى لوح القدر وسمع تسبيح الملائكة وتقديسهم لله تعالى ثم وصل إلى سدرة المنتهى وهنا تركه جبريل قائلاً: هنا حدودى وهنا يجب أن أقف. أما أنت يا خير المرسلين وحبيب رب العالمين فتابع معراجك المبارك واصعد محاطاً بنور أنوارك".

وتابع المصطفى ε اختراق الحجب التى تحول دون رؤية المساتير إلى أن وصل إلى حجاب الوحدة فرأى ما لا تراه الأعين ولا يخطر على قلب

(١) رواه: ابن ماجة فى سننه ج٢ ص٨١٢ رقم ١٤٣١ ط عيسى البابى الحلبى.

(٢) رواه: البيهقى فى الدلائل ج٢ ص٣٦٢، ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

بشر. لم تكن حاسة بصره الجسمانية تتحمل هذا البريق الذى يخطف الأبصار.

ففتح الله عينى قلبه ليمنحه الرؤية على مشاهدة هذا الجمال اللانهائى .. ثم قربه الله من عشره حتى أصبح [**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**][1].

وغير ذلك من المرائى .. التى رآها رسول الله ε فى ليلة الإسراء والمعراج. وإن صحت فهى تصوير للترغيب أو الترهيب وربما كانت أموراً لما سيحدث فى الآخر من هيئة الأجر أو العقاب وليست أموراً واقعية وعدها من قبيل آياته الكبرى لا يخلو عن تسامح[2] ...

والسلام على المرسلين ... والحمد لله رب العالمين

% % %

(١) سورة النجم، الآية التاسعة.

(٢) راجع: فتح المنعم ج٢ ص٣٨٥.